مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد:25 عدد: 55 السنة: 2021

تأملات بيانية في أسرار ترتيب سور القرآن الكريم

-سورتا الفجر والبلد أنموذجا-

Graphic reflections on the secrets of the arrangement of the Holy Quran

-alfadjer and albalad surahs as a modal-

د. عبدالحكيم قليل[1]
جامعة باتنة1
kellilh²akim1@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/04/03 القبول 2020/12/07 النشر على الخط 2021/03/15
Received 03/04/2020 Accepted 07/12/2020.Published online 15/03/2021

ملخص:

تعد مسألة توقيفية ترتيب سور القرآن الكريم من توفيقيته من المسائل التي تشهد رواجا كبيرا وجدلا عميقا في ميدان الدراسات القرآنية؛ بحثا عن المعايير التي اعتبرت في ترتيب سور القرآن الكريم؟ . ومن خلاله تولدت فكرة بعث ترتيب سور القرآن الكريم وفق معايير معينة، خاصة من قبل الحداثيين الذين رأوا أن الترتيب الحالي للقرآن الكريم ترتيب فوضوي بعيد كل البعد عن حسن النظم وجودة الربط الذي تقتضيه البلاغة العربية . وأمام هذا الهجوم على ترتيب القرآن والدعاوى المغرضة للحط من قداسة القرآن الكريم شمّر المسلمون عن سواعدهم في سبيل الذب عن كتاب الله ؛ فالتمسوا الأسرار في اقتران أجزاء القرآن الكريم ببعضها البعض من خلال علم عرف بـ " علم المناسبات"، والذي من بين مباحثه بيان أسرار اقتران سور القرآن الكريم ببعضها البعض وفق الترتيب التي هي عليه في المصحف. فجاء مقالي هذا اجتهادا خاصا في التفتيش عن أسرار اقتران سورتين من سور القرآن الكريم ببعضهما البعض؛ ألا وهما سورتي "الفجر" و"البلد" ؛ إذ وجدت بينهما تقاطعا واضحا وتناغما لطيفا في موضوعاتهما من حيث: تقرير الإلهيات والنبوات والمعاد، وكلها معاني عقدية جاء القرآن المكي خصوصا يرمي إلى ترسيخها في قلب الإنسان.

الكلمات المفتاحية: الفجر – البلد – الإلهيات — النبوات — المعاد

Abstract:

The issue of arranging the surahs of the Qur'an is dependent on a legal text or the diligence of the companions of Muhammad, the Messenger of God is one of the issues witnessing great popularity and deep debate in the field of Quranic studies ;

In search of the criteria that were considered in the arrangement of the surahs of the Holy Quran? It was through him that the idea of resurrecting the arrangement of the Holy Qur'an was generated according to certain criteria, especially by modernists who saw that the current arrangement of the Holy Qur'an is an anarchic arrangement far from the good systems and quality of the link required by Arabic rhetoric And in the face of this attack on the arrangement of the Qur'an and the malicious suits to degrade the holiness of the holy Qur'an, Muslims didn't stay like this ,they defended the book of god so They sought the secrets in the conjunction of the parts of the Holy Qur'an with each other through a science known as "the science of occasions", which among its topics explains the secrets of associating the Holy Qur'an surahs with one another according to the order in which it is in the Qur'an. So my article came with a special diligence in searching for the secrets of conjoining two surahs of the Holy Qur'an with each other, namely the two "alfadjer " and "albalad " surahs.where I found between them a clear intersection and pleasant harmony in their subjects in terms of: proving of al'iilahiaat, an, alnabu'at and almaead all of of them are nodal meanings, the Meccan Qur'an came, in particular, aimed at establishing them in the human heart.

Key words: Alfadjer; Albalad; Divinities; The prophecies; Recycled

[1]– المؤلّف المرسل: عبدالحكيم قليل البريد الإلكتروني:kellilhakim1@gmail.com

1 مقدمة:

تمهيد:

الحمد لله الذي نزل الفرقان ليكون لرسوله حجة وبرهانا، وللناس هدى وذكرا وبيانا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنزل الكتاب؛ منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات، وأشهد أن سيدنا ونبينا وأسوتنا وقائدنا وعظيمنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة حتى تركها على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

أما بعد فإن القرآن الكريم هو حبل الله المتين ونوره المبين والهادي إلى صراطه المستقيم، من اتبعه رشد واهتدى ومن أعرض عنه ضل وغوى. دعا المولى تبارك وتعالى في محكم الآيات إلى إمعان النظر بالتأمل والتدبر في هذا الكتاب الذي لا تفنى عجائبه ولا تنقضي أسراره ودقائقه، وإن من نتاج وثمرة التأمل في هذا الكتاب العزيز تجلية تلك الأسرار واللطائف المقررة لإحكام الربط والتعلق بين مختلف أجزاءه. وجودة تأليفها وبديع ترتيبها وعمق التناسب بين معانيها.

الإشكالية:

إن من جملة أنواع المناسبات التي أقرّها علماء الدراسات القرآنية في هذا الباب؛ مناسبة السور القرآنية لبعضها البعض في الترتيب التي هي عليه في المصحف، والتي تعد واحدة من سبل وآليات الاحتجاج لتوقيفية ترتيب سور القرآن الكريم، كما أنه أيضا يعد أحد أهم الأدلة والبراهين القاضية بالإعجاز البلاغي للقرآني الكريم. وفي معرض مطالعتي لكتاب الإمام السيوطي "أسرار ترتيب القرآن" عند تقريره للمناسبة بين سورتي الفجر والبلد وجدته قد استخلص وجها واحدا فقط، فقال: " وجه اتصالها بما قبلها: أنه لما ذم فيها من أحب المال، وأكل التراث، ولم يحض على طعام المسكين، ذكر في هذه السورة الخصال التي تطلب من صاحب المال، من فك الرقبة، والإطعام في يوم ذي مسغبة"، فهل وجه المناسبة بين السورتين مقتصر على هذا الوجه فقط؟ أم أنه ثمة جملة من الأسرار والتقاطعات بين السورتين؟

أهداف البحث:

لعلنا —من خلال مقالتنا هذه– نقف على وقع وأثر هذا النوع من أنواع علوم القرآن الكريم في تقرير إعجازه الترتيبي؛ وذلك بتجلية بعض دقائق وأسرار التعلق والارتباط بين سورتين اثنتين متواليتين في الترتيب المصحفي؛ ألا وهما سورتي "الفجر" و"البلد".

وإن السورتين اللتين نحن بصدد تباحث أسرار اقترانهما في ترتيب القرآن الكريم وأوجه المناسبة بين موضوعاتهما ومعانيهما هما سورتان مكيتان في المشهور، والقرآن المكي قد جاء في مجمل مواضيعه ومقاصده يرمي إلى استصلاح الفطرة وتقويم العقيدة وتطهيرها من شوائب الكفريات والشركيات، معتمدة في ذلك على جملة من الآليات والوسائل والسبل كإثارة العقل بالتدبر والتفكر في كون الله تعالى ومخلوقاته في سبيل تقرير الإلهيات، وكذا التذكير بأحوال الأمم الماضية والحث على الاعتبار والاتعاظ بمآلاتهم المخيبة ونهاياتهم السيئة في استهداف تقرير

النبوات عموما وإحقاق صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم خصوصا، وكذا رسم السور المحببة للمؤمنين والمنفرة للكافرين بذكر الجنة ونعيمها، وبعرض النار وعرض أهوالها وأحوال أهلها والتذكير بالبعث والحساب وهذا في سبيل تقرير المعاد.

والمتدبر في سورتي "الفجر" و"البلد "يدرك أن كلاً من السورتين قد جمعتا هذه الموضوعات بمقاصدها بتفاوت بينهما في العرض والسياق. فالمتأمل للمعاني التي جاءت بها السورتين الكريمتين يجد بينهما تقاطع كبير في المعاني، ومكملة لبعضها البعض أحيانا، فالسورتان الاثنتان جاء المقصد من موضوعاتهما تقرير قضايا ثلاث؛ وهي الإلهيات والنبوات والمعاد.

منهج كتابة البحث:

اعتمدت في كتابة هذا البحث على المنهجين التحليلي والمقارن في غالبه، وربما ساورهما شيء من المنهجين الوصفي والتاريخي بدرجة أقل.

2 المطلب الأول: التعريف بالسورتين وبيان معاني كلماتهما:

2.1 الفرع الأول: سورة الفجر:

أ -التعريف بها:

- **في اسم السورة:**

أطبقت المصاحف وكتب التفاسير والسنة على أن "الفجر" هو تسمية هذه السورة، إلا ما جاء في بعض الآثار النقلية؛ والتي فيها ألحقت واو القسم بهذا الاسم "والفجر"، وفي ذلك يقول ابن عاشور "لم يختلف في تسمية هذه السّورة «سورة الفجر» بدون الواو في المصاحف والتّفاسير وكتب السّنّة"[1]. وذكر السيوطي في الدر المنثور بعضا من الآثار التي قرن فيها هذا الاسم بواو القسم؛ حيث قال: " أخرج ابن الضريس والنحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقيّ من طرق عن ابن عبّاس قال: نزلت {والفجر} بمكّة وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير قال: أنزلت {والفجر} بمكّة"[2]، وعن سبب تسميتها بهذا الاسم فلا يعتقد أن أحدا قد يخفى عليه سبب التسمية، إذ أن هذا الاسم قد حمله مطلع هذه السورة في قوله تعالى {والفجر} وهو القسم الأول فيها.

[1] – محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر – تونس–،(1984هـ)، ج30/ص311.

[2] – عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ): الدر المنثور، دار الفكر–بيروت–، ج8/ص497.

- **مكي نزولها:**

وهذه السورة هي سورة مكية في قول الجماهير، يقول الألوسي: " مكية في قول الجمهور. وقال علي بن أبي طلحة: مدنية"[1]، وقال ابن عاشور " وهي مكّيّة باتّفاق سوى ما حكى ابن عطيّة عن أبي عمرو الدّانيّ أنّه حكى عن بعض العلماء أنّها مدنيّة"[2].

- **ترتيبها وعدد آياتها:**

وأما ترتيبها، فقد جاءت سورة الفجر في الترتيب التاسع والثمانين من الترتيب المصحفي لسور القرآن الكريم، والعاشرة في التنزيل بعد سورة الليل وقبل سورة الضحى[3].

وفي عدد آياتها اختلاف بين الناس في ذلك؛ بين قائل بتسع وعشرين آية وقائل بالثلاثين وآخر بالثاني والثلاثين، ولكل فريق منهم استدلاله وحجته[4].

- **عن فضائل السورة:**

وفي فضائل السورة، ما وجدت لذلك شيئا يذكر في كتب الأثر والحديث والتفسير إلا ما روى الثعلبي في كتابه الكشف والبيان بسنده عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **[من قرأ سورة والفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها سائر الأيّام كانت له نورا يوم القيامة]**[5].

- **في مقاصد السورة:**

في مقاصد السورة قال البقاعي في كتابه "مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور":" ومقصودها: الاستدلال على آخر الغاشية: الإياب، والحساب بالثواب والعقاب. وأدل ما فيها على هذا المقصود: الفجر، بانفجار الصبح عن النهار الماضي بالأمس من غير فرق في شيء من الذات، وانبعاث الناس من الموت الأصغر: النوم بالانتشار في ضياء النهار، للمجازات في الحساب"[1].

---

[1] – شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت 1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت–، ط1، (1415 هـ)، ج15/ص333

[2] – التحرير والتنوير: ج30/ص311.

[3] – ينظر المصدر نفسه: ج30/ص311.

[4] – ينظر الخلاف في المصدر نفسه: ج30/ص311.

[5] – أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت 427هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، –بيروت ، لبنان–، ط1، (1422هـ – 2002م)، ج10/ص191. وهذا الحديث قد عده ابن الجوزي من الموضوعات؛ حيث قال: " وقد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثّعلبيّ في تفسيره فذكر عند كل سورة منه ما يخصها وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك ولا أعجب منهما لانهما ليسامن أصحاب الحديث، وإنّما عجبت من أبي بكر بن أبي داود كيف فرقه على كتابه الّذي صنفه في فضائل القرآن وهو يعلم أنه حديث محال، ولكن شره جمهور المحدثين فإن من عادتهم تنفيق حديثهم ولو بالبواطيل، وهذا قبيح منهم لأنّه قد صحّ عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم أنّه قال: " من حدث عنى حديثا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين "وهذا حديث فضائل السّور مصنوع بلا شكّ". ينظر جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ): الموضوعات، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط1، (1386 هـ – 1966م)، ج1/ص240.

وذكر الإمام ابن عاشور مقاصد هذه السورة وأغراضها في مطلع تفسيره لها؛ حيث قال: " حَوَتْ مِنَ الْأَغْرَاضِ ضَرْبَ الْمَثَلِ لِمُشْرِكِي أَهْلِ مَكَّةَ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنْ قَبُولِ رِسَالَةِ رَبِّهِمْ بِمَثَلِ عَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ فِرْعَوْنَ. وَإِنْذَارَهُمْ بِعَذَابِ الْآخِرَةِ. وَتَثْبِيتَ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ وَعْدِهِ بِاضْمِحْلَالِ أَعْدَائِهِ. وَإِبْطَالَ غُرُورِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ إِذْ يَحْسَبُونَ أَنَّ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَعِيمِ"[2].

ب -معاني كلماتها:

في بيان معاني كلمات هذا السورة سنقتصر على ما جاء في تفسير الجلالين باعتباره تفسيرا موجزا مختصرا مقتصرا على الكلمات في معظمه، إذ سأحاول بتصرف مني التركيز فيه على كلمات السورة ذوات الاستشكال وعسر الفهم فقط[3]:

{والفجر}: فجر كلّ يوم، **{وليال عشر}**: عشر ذي الحجّة، **{والشّفع}**: الزّوج، **{والوتر}** : الفرد، **{واللّيل إذا يسر}**: مقبلا ومدبرا، **{هل في ذلك}**: القسم، **{لذي حجر}**: لذي عقل، **{ألم تر}** : تعلم يا محمّد، **{إرم}** : هي عاد الأولى، **{ذات العماد}** : أي الطّول كان طول الطّويل منهم أربعمائة ذراع، **{جابوا}**: قطعوا، **{الصّخر}**: جمع صخرة واتّخذوها بيوتا، **{بالواد}**: وادي القرى، **{وفرعون ذي الأوتاد}**: كان يتد أربعة أوتاد يشدّ إليها يدي ورجلي من يعذّبه، **{طغوا}**: تجبّروا، **{الفساد}**: القتل وغيره،**{ سوط}**: نوع، **{إنّ ربّك لبالمرصاد}**: يرصد أعمال العباد، **{إذا ما ابتلاه}**: اختبره، **{ فأكرمه}**: بالمال وغيره،**{فقدر}**: ضيق، **{كلّا}**: ردع أي ليس الإكرام بالغنى والإهانة بالفقر وإنّما هو بالطّاعة والمعصية وكفّار مكّة لا ينتبهون، **{لا تكرمون اليتيم}**: لا يحسنون إليه مع غناهم أو لا يعطونه حق من الميراث، **{ولا تحضون}**: أنفسهم أو غيرهم، **{التراث}**: الميراث، **{لمّا}**: أي شديدا، **{جمّا}**: أي كثيرا، **{إذا دكّت الأرض دكّا دكّا}**: زلزلت حتّى ينهدم كلّ بناء عليها وينعدم، **{صفّا صفّا}**: أي مصطفّين أو ذوي صفوف كثيرة، **{يتذكّر الإنسان}**: أي الكافر ما فرّط، **{وأنّى له الذّكرى}**: لا ينفعه تذكّره ذلك، **{لحياتي}**: الطّيّبة في الآخرة أو وقت حياتي في الدّنيا، **{عذابه}**: أي اللّه، **{أحد}**: أي لا يكله إلى غيره، **{وثاقه أحد}**: ولا يوثق مثل إيثاقه، **{المطمئنة}**: الآمنة وهي المؤمنة، **{راضية}**: بالثّواب، **{مرضيّة}**: عند اللّه بعملك، **{عبادي}**: الصّالحين.

2.2 الفرع الثاني: سورة البلد:

أ -التعريف بها:

- **في اسم السورة:**

---

[1] - إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت 885ه): مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْنَى فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض–، ط1، (1408 هـ - 1987 م)، ج3 / ص190.

[2] – التحرير والتنوير: ج30 / ص311.

[3] – ينظر في جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت 864ه) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911ه): تفسير الجلالين، دار الحديث – القاهرة–، ط1، ص806-807.

كشأن سابقتها، فقد أجمعت المصاحف وكتب التفسير على أن "البلد" هو تسمية هذه السورة، بينما جاء في بعض كتب السنة هذا الاسم مقرونا بـ "لا" أي سميت بسورة "لا أقسم" ومن ذلك ما جاء في صحيح البخاري عند ترجمتها في باب "لتركبن طبقا عن طبق" من كتاب تفسير القرآن حيث قال "سورة لا أقسم"[1]. وقال الشوكاني في مطلع تفسيره للسورة: " سورة البلد ويقال سورة: لا أقسم"[2].

- **الخلاف في مكيتها أو مدنيتها:**

اختلف الناس في مكيتها من مدنيتها، فمنهم من قال بأنها مكية مطلقا، ومنهم من قال بأنها مدنية ومنهم من اعتبر البعض مكي والبعض الآخر مدني، والكلام في ذلك واسع عند أهل التفسير ولكل منهم دليله، ولعلنا نكتفي ههنا بنقل ابن عاشور للخلاف، حيث قال " وهي مكّيّة وحكى الزّمخشريّ والقرطبيّ الاتّفاق عليه واقتصر عليه معظم المفسّرين وحكى ابن عطيّة عن قوم: أنّها مدنيّة. ولعلّ هذا قول من فسّر قوله: {**وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ**}[3] أنّ الحلّ الإذن له في القتال يوم الفتح وحمل وأنت حلّ على معنى: وأنت الآن حلّ، وهو يرجع إلى ما روى القرطبيّ عن السّدّيّ وأبي صالح وعزي لابن عبّاس. وقد أشار في «الكشّاف» إلى إبطاله بأنّ السّورة نزلت بمكّة بالاتّفاق، وفي ردّه بذلك مصادرة، فالوجه أن يرّد بأنّ في قوله: أيحسب أن لن يقدر عليه أحد إلى قوله: {**فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ**}[4] ضمائر غيبة يتعيّن عودها إلى الإنسان في قوله: {**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ**}[5] وإلّا لخلت الضّمائر عن معاد. وحكى في «الاتقان» قولا أنّها مدنيّة إلّا الآيات الأربع من أوّلها"[6].

- **ترتيبها وعدد آياتها:**

جاءت سورة البلد في العدد التسعين من الترتيب المصحفي لسور القرآن الكريم، والعاشرة في التنزيل بعد سورة الليل وقبل سورة الضحى .وعدد آياتها عشرون آية قولا واحد بلا خلاف[7].

" وقد عدّت الخامسة والثّلاثين في عدد نزول السّور، نزلت بعد سورة ق وقبل سورة الطّارق"[8].

---

[1] – محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه – صحيح البخاري–، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، (1422هـ)، كتاب تفسير القرآن، باب "لتركبن طبقا عن طبق"، ج6/ص169.

[2] – محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ): فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت–، ط1، (1414هـ)، ج5/ص538.

[3] – [البلد:2]

[4] – [البلد:11]

[5] – [البلد:4]

6 – التحرير والتنوير: ج30/ص345.

[7] – روح المعاني: ج15/ص349.

[8] – المصدر السابق: ج30/ص345.

- **عن فضائل السورة:**

في فضائل سورة البلد لم أجد شيئا يذكر في كتب الأثر والحديث والتفسير، إلا ما روى الثعلبي وكذلك الواحدي بسنديهما عن أبيّ بن كعب قال: أخبرنا سعيد بن محمّد بن محمّد العدل، أنا محمّد بن جعفر المؤذّن بإسناده، عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم: [**ومن قرأ: لا أقسم بهذا البلد أعطاه اللّه تعالى الأمن من غضبه يوم القيامة**][1] وهو حديث موضوع.

- **في مقاصد السورة:**

قال البقاعي: " ومقصودها: نفي القدرة عن الإنسان، وإثباتها لخالقه الديان، وذلك هو معنى اسمها، فإن من تأمل أمان أهل الحرم، وما هم فيه من الرزق والخير، على قلة الرزق ببلدهم، مع ما فيه غيرهيم، ممن هم أكثر منهم وأقوى، من الخوف والجوع، علم ذلك"[2].

وقال الإمام ابن عاشور في بيان مقصد السورة: " حَوَتْ مِنَ الْأَغْرَاضِ التَّنْوِيهَ بِمَكَّةَ. وَبِمُقَامِ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا. وَبَرَكَتِهِ فِيهَا وَعَلَى أَهْلِهَا. وَالتَّنْوِيهَ بِأَسْلَافِ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سُكَّانِهَا الَّذِينَ كَانُوا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَوْ مِنْ أَتْبَاعِ الْحَنِيفِيَّةِ مِثْلِ عَدْنَانَ وَمُضَرَ كَمَا سَيَأْتِي. وَالتَّخَلُّصَ إِلَى ذَمِّ سِيرَةِ أَهْلِ الشِّرْكِ. وَإِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ. وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ التَّفَاخُرِ الْمُبَالَغِ فِيهِ، وَمَا أَهْمَلُوهُ مِنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ عَلَى الْحَوَاسِّ، وَنِعْمَةِ النُّطْقِ، وَنِعْمَةِ الْفِكْرِ، وَنِعْمَةِ الْإِرْشَادِ فَلَمْ يَشْكُرُوا ذَلِكَ بِالْبَذْلِ فِي سُبُلِ الْخَيْرِ وَمَا فَرَّطُوا فِيهِ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ وَأَخْلَاقِهِ. وَوَعِيدَ الْكَافِرِينَ وَبِشَارَةَ الموقنين"[3].

ب معاني كلماتها:

في بيان معاني كلمات هذه السورة أيضا سنقتصر على ذكر ما جاء في تفسير الجلالين وبتصرف كسابقتها من كلمات سورة الفجر:

{البلد}: مكّة، **{وأنت}**: يا محمّد، **{حلّ}**: حلال بأن يحلّ لك فتقاتل فيه وقد أنجز اللّه له هذا الوعد يوم الفتح، **{ووالد}**: أي آدم، **{وما ولد}**: أي ذرّيّته، **{في كبد}**: نصب وشدّة يكابد مصائب الدّنيا وشدائد الآخرة، **{أيحسب}** : أيظنّ، **{يقول أهلكت مالا لبدا}**: على عداوة محمّد كثيرا بعضه على بعض، **{لم يره أحد}**: فيما أنفقه، **{وهديناه النّجدين}**: بيّنّا له طريق الخير والشّر، **{فلا}**: فهلّا، **{اقتحم العقبة}**: جاوزها، **{فكّ رقبة}**: من الرّقّ بأن أعتقها، **{مسغبة}**: مجاعة، **{مقربة}**: قرابة، **{متربة}**: لصوق بالتّراب لفقره، **{وتواصوا}**: أوصى بعضهم بعضا، **{بالمرحمة}**: الرّحمة، **{الميمنة}**: اليمين، **{المشأمة}**: الشّمال، **{مؤصدة}**: مطبق.

---

[1] – الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج10/ص206. أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت 468هـ): الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، –بيروت، لبنان–، ط1،(1415هـ– 1994 م). ج4/ص488.

[2] – مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور: ج3 / ص194.

[3] – التحرير والتنوير: ج30 / ص345–346.

2.3 الفرع الثالث: الاختلاف بين العلماء في توقيفية ترتيب سور القرآن الكريم:

بعد استعراضنا فيما تقدم من هذه المقالة تعريفا بالسورتين الكريمتين وعرضا موجز لأهم معاني كلماتهما، وكنا قد صادفنا خلافا واقعا بين العلماء في مكية سورة البلد من مدنيتها. فلو كانت هذه السورة مدنية النزول فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو، ما السر في تعقب سورة مدنية التنزيل لسورة مكية التنزيل؟.

ثم إنه لو سلمنا جدلا بمكية تنزلها فإن بينهما فارق زمني طويل، لأن السورة الأولى كانت العاشرة في التنزيل والثانية جاءت الخامس والثلاثين في التنزيل، ولكل منهما سور مختلفة ومتباينة حصرتهما، فالأولى تنزلت بعد سورة الليل وقبل سورة الضحى، والثانية نزلت بعد سورة ق وقبل سورة الطّارق. وعليه فإن السؤال يعيد طرح نفسه بنفسه مرة أخرى؛ ما هو المعيار والأساس الذي اعتمد عليه في وضع مثل هذا الترتيب؟.

إن الإجابة على السؤال السابق تستوجب منا وقفة مع مسألة توقيفية ترتيب السور من اجتهاديته، وفيما يلي عرض ملخص لأهم ما جاء في هذه القضية عند العلماء المسلمين.

ولأن ترتيب سور القرآن الكريم من أكثر المسائل التي أوقعت جدلا عميقا بين أهل الدراسات القرآنية؛ حيث انقسموا في ذلك إلى أقسام ثلاثة ذكرها الإمام الزركشي[1] نذكرها ههنا بإيجاز:

المذهب الأول:

ذهب الجمهور إلى أن ترتيب سور القرآن الكريم أمر توفيقي اجتهادي من فعل الصحابة –رضوان الله تعالى عنهم– مبينين أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قد فوض الأمر في ذلك لأمته من بعده مستدلين لذلك بالاختلاف في ترتيب السور بين مصاحف الصحابة وكذا ما جاء من مخالفة الترتيب الحالي لسور القرآن الكريم لفعل النبي –صلى الله عليه وسلم– حيث روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن حذيفة قال : **[صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ]**[2]، ففعل النبي –صلى الله عليه وسلم– فيه دلالة واضحة على أن الترتيب الذي في المصحف مخالف لفعله –صلى الله عليه وسلم– إذ أنه من العلوم أن من ترتيب سور القرآن الكريم في المصحف؛ البقرة، آل عمران، ثم النساء. ولكن فعل النبي –صلى الله عليه وسلم– في قراءته قدم النساء عن آل عمران.

---

1 – ينظر أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، (1376 هـ – 1957 م)، ج1/ص257.

2 – مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت–، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة اللّيل، حديث رقم 772، ج1/ص536.

ومن أدلة هذا الفريق أيضا أن الخلاف الذي وقع بين ابن عباس –رضي الله عنهما– وعثمان –رضي الله عنه– في ترتيب سورتي الأنفال والتوبة فقد روى الترمذي في سننه بسنده عن ابن عباس – رضي الله عنهما قال: **[**قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: مَا حَمَلَكُمْ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي وَإِلَى بَرَاءَةٌ وَهِيَ مِنَ الْمِئِينَ فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطُّوَلِ، مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَيَقُولُ: «**ضَعُوا هَؤُلَاءِ الآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا**» وَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الآيَةَ فَيَقُولُ: «**ضَعُوا هَذِهِ الآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا**»، وَكَانَتِ الأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ وَكَانَتْ بَرَاءَةٌ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا، فَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَوَضَعْتُهَا فِي السَّبْعِ الطُّوَلِ**]**[1] فهذه القصة فيها دلالة على أن ترتيب السور كان اجتهاديا لا توقيفيا ولو كان الأمر خلاف ذلك لما سوغ لهما الاختلاف في ذلك. ومن أصحاب هذا المذهب **أبو الحسين أحمد بن فارس**؛ حيث قال: "... جمع القرآن على ضربين: أحدهما تأليف السّور كتقديم السّبع الطّوال وتعقيبها بالمئين فهذا هو الّذي تولّته الصّحابة وأمّا الجمع الآخر وهو جمع الآيات في السّور فهو توقيفيّ تولّاه النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم كما أخبر به جبريل عن أمر ربّه"[2].

المذهب الثاني:

ذهبت طائفة من العلماء إلى أن ترتيب سور القرآن الكريم كان ترتيبا توقيفيا لا مجال للاجتهاد في ذلك، مستدلين لذلك بأن النبي – صلى الله عليه وسلم– قد رمز إليهم بذلك وأرشدهم إلى ترتيب السور القرآنية، كما قال الإمام مالك – رغم أن الإمام مالك ذهب مذهب الجمهور في هذه المسألة– عن الصحابة –رضي الله عنهم– " وإنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله – صلى الله عليه وسلم –"[3]، إلا أن الإمام مالك ربما كان يقصد ترتيب آيات القرآن وليس سوره. كما أُسلف الذكر في مذهب الجمهور فإنه لو كان الأمر كذلك لما خالف فعل النبي –صلى الله عليه وسلم– لقوله. ومن أصحاب هذا المذهب:

الكرماني في كتابه البرهان في توجيه متشابه القرآن حيث قال "... قلت أول القرآن سورة الفاتحة ثمّ البقرة ثمّ آل عمران على هذا التّرتيب إلى سورة النّاس وهكذا هو عند الله في اللّوح المحفوظ وهو على هذا التّرتيب كان يعرضه عليه الصّلاة والسّلام على جبريل عليه السّلام كل سنة أي ما كان يجتمع عنده منه وعرضه عليه الصّلاة والسّلام في السّنة الّتي توفى فيها مرّتين"[4].

---

[1] – سنن الترمذي: باب ومن سورة التّوبة، حديث رقم 3086، ج5/ص272-273." وقال الترمذي عن هذا الحديث أنه حديث حسن لا نعرفه إلّا من حديث عوف، عن يزيد الفارسيّ، عن ابن عبّاس.

[2] – ينظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي. ج01/ص216.

[3] – ينظر أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت 708ه): البرهان في تناسب سور القرآن تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية –المغرب– ، (1410 ه – 1990م)، ص183.

[4] – أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر، برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت نحو 505ه): أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض. دار الفضيلة، ص68.

أبو بكر الأنباري الذي قال :" أنزل اللّه القرآن كلّه إلى سماء الدّنيا ثمّ فرّق في بضع وعشرين فكانت السّورة تنزل لأمر يحدث والآية جوابا لمستخبر ويقف جبريل النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم على موضع السّورة والآية فاتّساق السّور كاتّساق الآيات والحروف كلّه عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم فمن قدّم سورة أو أخّرها فقد أفسد نظم لآيات"[1].

المذهب الثالث:

ذهب فيه أصحابه إلى أن ترتيب سور القرآن الكريم منه ما هو توقيفي ومنه ما هو اجتهادي يمكن أن يكون النبي – صلى الله عليه وسلم– قد فوّض الأمر فيه إلى الأمّة بعده، وممن ذهبوا هذا المذهب:

القاضي أبو محمّد بن عطيّة في تفسيره حيث قال: "وظاهر الآثار أن السبع الطول والحواميم والمفصل كان مرتبا في زمن النبي عليه السلام، وكان في السور ما لم يرتب، فذلك هو الذي رتب وقت الكتب"[2].

أبو جعفر بن الزّبير حيث قال:" وظواهر الآثار شاهدة بصحة ما ذهب إليه في أكثر ما نُص عليه، ثم يبقى بعدُ قليل من السور يمكن فيها جري الخلاف أو يكون وقع، وإذا كان مستند المسألة النقل لم يصعب خلاف غير أهله، على أن ما مهدناه من المراعاة في الترتيب حاصل لا محالة على كل قول "[3]، ومن االأدلة على توقيفية ترتيب بعض سور القرآن ما يلي:

- ما رواه مسلم بسنده عن أبي أمامة الباهليّ، قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يقول: **[اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ]**[4].

- روى ابن أبي شيبة في مصنفه بسنده عن معبد بن خالد قال: [صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّبْعِ الطِّوَالِ فِي رَكْعَةٍ إِلَّا أَنَّ وَكِيعًا قَالَ: «قَرَأَ»][5].

- روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن عبد اللّه بن شقيق العقيليّ قال: [كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ السُّوَرِ فِي رَكْعَةٍ؟ قَالَتْ: «نَعَمْ، الْمُفَصَّلَ»][6].

- ما روى الإمام البخاري في صحيحه عن ابن مسعود –رضي الله عنه أنه قال: [فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ: إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي][7].

---

[1] – ينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي. ج01/ص260.

[2] – أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت–، ط1، (1422 هـ)، ص 50.

[3] – البرهان فى تناسب سور القرآن: لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت 708هـ)، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية –المغرب–، (1410 هـ - 1990 م)، ص 185.

[4] – صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، حديث رقم 804، ج1/ص553.

[5] – أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي(ت 235هـ): الكتاب المصنف في الأحاديث و الآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض–، ط1، (1409هـ)، "في الرّجل يقرن السّور في الرّكعة من رخّص فيه"، حديث رقم 3699. ج1/ص323.

[6] – مصنف بن أبي شيبة: "في الرّجل يقرن السّور في الرّكعة من رخّص فيه". حديث رقم 3702، ج1/ص323.

[7] – صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {**وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ**} [النحل: 70]، حديث رقم 4708، ج06/ص82.

هذا وقد تعرض كل قول مذهب من هذه المذاهب للمناقشة من قبل المخالف. إلا أنه وأيا كان فإن ترتيب القرآن الكريم توقيفيا كان أم اجتهاديا فإن الواجب علينا كمسلمين هو احترامه والمحافظة على الترتيب الذي وضعه الصحابة –رضوان الله تعالى عنهم– لأن هذا الترتيب كان محل اجماع بينهم، وفي ذلك يقول ابن الزبير الغرناطي: " وأطبقت الصحابة على موافقة عثمان في ترتيب سوره وعمله فيه"[1]، ومن المعلوم من الدين بالضرورة عدم جواز نقض اجماع المسلمين فضلا عن اجماع الصحابة –رضوان الله تعالى عليهم–.

3 المطلب الثاني: وجوه المناسبة بين السورتين:

3.1 الفرع الأول: مناسبة مطلع سورة البلد لآخر سورة البلد:

قال البقاعي في بيانه لمناسبة مطلع سورة البلد بمقطع سورة الفجر: " لما ختم كلمات الفجر بالجنة التي هي أفضل الأماكن التي يسكنها الخلق، لا سيما المضافة إلى اسمه الأخص المؤذن بأنها أفضل الجنان، بعد ما ختم آياتها بالنفس المطمئنة بعد ذكر الأمارة التي وقعت في كبد الندم الذي يتمنى لأجله العدم، بعد ما تقدم من أنها لا تزال في كبد ابتلاء المعيشة في السراء والضراء، افتتح هذه بالأمارة مقسماً في أمرها بأعظم البلاد وأشرف أولي الانفس المطمئنة، فقال مؤكداً بالنافي من حيث إنه ينفي ضد ما ثبت من مضمون الكلام مع القطع بأنه لم يقصد به غير ذلك"[2].

3.2 الفرع الثاني: مناسبة تقرير الإلهيات في السورتين:

هذا المقصد بموضوعه جاء في مفتتح السورتين؛ حيث حمل مطلع السورتين مجموعة من المقسمات تتجلى فيها وحدانية الله عز وجل وقدرته. وفيما يلي بيان ذلك:

أ -في مسألة القسم بغير الله:

والله عز وجل إذا أقسم فهو لا يقسم إلا بعظيم؛ إما لعظيم خلقته وبديع صنعه فيه، وإما لمنافعه التي أودعها فيه للبشر. والله له أن يقسم بما شاء والناس ليس لهم ذلك، ثم إن الله لا يسأل عما يفعل والناس عن أقسامهم وأفعالهم مسئولون إذ أن الإنسان منع شرعا من القسم بغير الله تعالى، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **[مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ]**[3]، وقال ابن تيمية رحمه الله : " ونحن المخلوقون ليس لنا أن نقسم بها بالنّصّ والإجماع. بل ذكر غير واحد الإجماع على أنّه لا يقسم بشيء من المخلوقات وذكروا إجماع الصّحابة

[1] – البرهان فى تناسب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي. ص 182.

[2] – إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت 885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي –القاهرة–، ج22 / ص45–46.

[3] – صحيح البخاري: كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف، حديث رقم 2679، ج3/ص180.

على ذلك بل ذلك شرك منهيّ عنه"[1] وقال الإمام القرطبي " للّه أن يقسم بما شاء من مخلوقاته من حيوان وجماد، وإن لم يعلم وجه الحكمة في ذلك "[2].

كما أن الله عز وجل بقسمه بمخلوقاته العظيمة يرمي إلى تحفيز العقل البشري ودفعه للتأمل والتفكر والتدبر فيها من جهة، عسى أن تستقيم بذلك الأفهام وتستبين الأذهان سبل السلام، فيدرك الإدراك اليقيني أن مسير الكون ومدبره التدبير الدقيق واحد، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية " فإنّ اللّه يقسم بما يقسم به من مخلوقاته لأنّها آياته ومخلوقاته. فهي دليل على ربوبيّته وألوهيّته ووحدانيّته وعلمه وقدرته ومشيئته ورحمته وحكمته وعظمته وعزّته فهو سبحانه يقسم بها لأنّ إقسامه بها تعظيم له سبحانه."[3].

ومن جهة أخرى فإن قسم الله عز وجل بمخلوقاته هو استثارة منه لعواطف الناس، باستذكارهم لنعم الله عليهم وما في الكون و المخلوقات من فوائد لهم ليشكروها، والله تعالى الكريم يقول في كتابه المبين: { **وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (10)**}[4].

ويقول أيضا:{ **وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (14)**}[5].

ويقول أيضا: { **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78)** }[6].

ويقول أيضا: { **وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (78)** }[7].

ويقول أيضا: { **وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (73)**}[8]

---

[1] – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ): مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية–المملكة العربية السعودية–، (1416هـ/1995م)، ج1/ص290.

[2] – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت671هـ): الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي–: تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة–، ط2، (1384هـ–1964م)، مج10/ص237.

[3] – مجموع الفتاوى: ج1/ص290.

[4] – [الأعراف:10]

[5] – [النحل:14]

[6] – [النحل:78]

[7] – [المؤمنون:78]

[8] – [القصص:73]

ويقول أيضا:{ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (46)** }[1].

ويقول أيضا:{ **وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12)**}[2].

ويقول أيضا:{ **اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12)**}[3].

ولعل المتأمل لمعظم فواصل هذه الآيات ومثيلاتها من الآيات التي جاءت في عدّ منن الله تعالى ونعمه على البشر يدرك أن الغاية من التذكير هو دفع القلب لشكر الله تعالى على النعم، وذاك هو استثارة للعواطف والقلوب.

فالقرآن الكريم في تقريره للإلهيات تنوعت أساليبه بين إقناع العقل وإمتاع العاطفة. وفي هذا السياق يقول الإمام الرازي: "اعلم أنّ هذه الأشياء الّتي أقسم اللّه تعالى بها لا بدّ وأن يكون فيها إمّا فائدة دينيّة مثل كونها دلائل باهرة على التّوحيد، أو فائدة دنيويّة توجب بعثا على الشّكر، أو مجموعهما، ولأجل ما ذكرناه اختلفوا في تفسير هذه الأشياء اختلافا شديدا، فكلّ أحد فسّره بما رآه أعظم درجة في الدّين، وأكثر منفعة في الدّنيا"[4].

ب -المناسبة المكانية في مقسمات السورتين:

في سورة الفجر أقسم الله بمخلوقات خمسة؛ حيث قال تعالى:{**وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4)**}[5]، ولست هنا بصدد الاستطراد في اختلاف أهل التأويل، والاسترسال في بيان حقيقة ومقصد كل قسم عند أهل التفسير، ولكن المدقق فيها كلها، يدرك أن هذه المقسمات وحوادثها كلها مرتبطة بأحوال العالم العلوي؛ من سماء وحركات للكواكب والنجوم والشمس والقمر، والتي في مجملها مسخرة لخدمة الإنسان وتيسير طريقة عيشه وتسهيلها كما سبق بيان ذلك.

وأما المقسمات في سورة البلد فأحوالها وحوادثها متعلقة بالعالم الأرضي السفلي الذي هو محل عيش الإنسان وموقع تواجده في الكون وتنعمه بمختلف نعم الله عليه؛ حيث أقسم الله بـ "مكة" أولا وهي المقصودة بـ "البلد" في قوله تعالى{**لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (1) وَأَنْتَ حِلٌّ**

[1] - [الروم:46]
[2] - [فاطر:12]
[3] - [الجاثية:12]
[4] - أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ): مفاتيح الغيب -التفسير الكبير-، دار إحياء التراث العربي – بيروت-، ط3، (1420 هـ). ج31/ص148.
[5] - [الفجر:1-4]

بِهَذَا الْبَلَدِ (2)}[1]، فهي أقدس وأفضل بقعة من بقاع العالم الأرضي. ليأتي القسم الثاني قسم بأصل وسبب وجود الإنسان على هذه الأرض، حيث قال تعالى:{**وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (3)**}[2].

وإن في ذلك بيان لتمام وكمال نعمة الله على عباده، لأن ما في السماء وما في الأرض ما خلقه الله إلا لخدمة الإنسان، ولكن الإنسان لربه لكنود غير شكور، وفي ذلك يقول الله تعالى: {**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (20)**}[3].

ويقول أيضا:{**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (65) وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (66)**}[4].

ويقول أيضا:{**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13)**}[5].

ويقول أيضا: {**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2)**}[6]

ويقول أيضا: {**اللَّهُ** الَّذِي **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33)**}[7].

ويقول أيضا:{**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (13)**}[8].

ويقول أيضا:{**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (5)**}[9].

---

[1] - [البلد1-2]
[2] - [البلد:3]
[3] - [لقمان:20]
[4] - [الحج:65-66]
[5] - [الجاثية: 13]
[6] - [الرعد:2]
[7] - [إبراهيم: 32-33]
[8] - [النحل: 12-13]
[9] - [الزمر: 5]

والله عز وجل قد زاوج الذكر بين منافع السماء ومنافع الأرض في مطلع السورتين، لأن مصالح العباد لا تتم ولا تتحقق إلا باجتماعهما معا، كما قال تعالى: {**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)**}[1].

وقال أيضا:{**وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164)**}[2].

وقال أيضا: {**وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99)**}[3].

وقال أيضا: {**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22)**}[4].

وقال أيضا: {**وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ** السَّمَاءِ **مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (65)**}[5].

وقال أيضا:{**الَّذِي** جَعَلَ **لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (54)**}[6].

وقال أيضا: {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (63)**}[7].

وقال أيضا:{**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (49)**}[8].

وقال أيضا:{**وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (24)**}[1].

---

[1] – [البقرة: 22]
[2] – [البقرة: 164]
[3] – [الأنعام: 99]
[4] – [الحجر: 22]
[5] – [النحل: 65]
[6] – [طه: 53-54]
[7] – [الحج: 63]
[8] – [الفرقان: 48-49]

وقال أيضا: {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (21)**}[2].

وقال أيضا:{**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (9) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (10) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (11)**}[3].

وقال أيضا:{**وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (14) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (15) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (16)**}[4]

وقال أيضا: {**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22)**}[5].

فالمتأمل لهاته الآيات كلها يجد أن صلاح الأرض وانتفاع الناس بها واستقامة عيشهم فيها لا يحصل إلا بتزاوج وتلاقح بينها وبين ما تدره السماء من خيراتها وأرزاقها. لذلك ذكر الله في مطلع الفجر السماء وأحوالها، وذكر في مستهل البلد الأرض وما يجري على ظهرها.

ومجمل ما في هذه الآيات أو القاسم المشترك بينها، هو أن ما في السماء من حوادث ما هو إلا تسخير لخدمة الإنسان على الأرض.

ج –المناسبة بين جواب القسم في السورتين:

بعد أن أقسم الله عز وجل بالمخلوقات الدالة على عظم قدرته وبديع صنعه في كونه فإنه لابد وأن يكون لكل قسم جواب.

وفي بيان جواب القسم في سورة الفجر اختلف أهل التأويل على فريقين اثنين؛ فمنهم من حمل الجواب على قوله تعالى {**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (14)**}[6] ومنهم من حمل جواب القسم على محذوف مقدر بـ "لنعذبن الكافرين" حيث يقول الرازي: "واعلم أنّ في جواب القسم وجهين الأوّل: أنّ جواب القسم هو قوله: إنّ ربّك لبالمرصاد وما بين الموضعين معترض بينهما الثّاني: قال صاحب «الكشّاف» : المقسم عليه محذوف وهو لنعذّبنّ الكافرين، يدلّ عليه قوله تعالى: ألم تر إلى قوله فصبّ عليهم ربّك سوط عذاب وهذا أولى من الوجه الأوّل لأنّه لما لم يتعيّن المقسم عليه ذهب الوهم إلى كلّ مذهب، فكان أدخل في التّخويف، فلمّا جاء بعده بيان عذاب الكافرين دلّ على أنّ المقسم عليه أوّلا هو ذلك"[7].

---

[1] – [الروم: 24]
[2] – [الزمر: 21]
[3] – [ق: 9-11]
[4] – [النبأ: 14-16]
[5] – [الذاريات: 20-22]
[6] – [الفجر: 14]
[7] – مفاتيح الغيب: ج31/ص152.

وبالتدبر في سورة الفجر نجد أن جواب القسم الراجح هو الوجه الثاني من الاحتمالين الذين ذكرناهما. لأن ما سبق ذكره من قول الله تعالى {**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (14)**}[1] يمكن عده كلام اعتراضي بين القسم وجوابه، وقوله { **إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (14)**}[2] ما هو إلا تنبيه على علمه تعالى ومراقبته لما اقترفته الأمم الماضية عاد وإرم وثمود وفرعون وما فعله بهم ما كان إلا جزاء وفاقا لتكذيبهم وكفرهم، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن الله عز وجل قد استطرد في بيان وتفسير سبب الكفر الذي لأجله أهلك القرون الأولى، وهو حب المال والطغيان.

وأما في سورة البلد فلاشك أن المقسم عليه هو قول الله تعالى {**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4)**}[3]، ولم يختلف أهل التأويل في ذلك.

وإن المناسبة بين جواب القسم في سورتي الفجر والبلد؛ هي أن الإنسان في مكابدته للحياة، قد تكون في الخير وقد تكون في الشر، وقد تكون في المنع وقد تكون في العطاء، وقد تكون في الشدة وقد تكون في الرخاء، وفي الحالتين الاثنتين فالإنسان في تعب ومشقة. وكل ذلك الكبد واللعب والمشقة، ما هو إلا مصداق قول الله تعالى: { **وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35)**}[4].

فأما في حال العطاء والرخاء، فإنه يسأل ويطلب المزيد من المال بجمعه وتعديد مصادره؛ مشروعة كانت أم محظورة {**الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (2)**}[5]، أي عدد مصادر تجميعه، فيلهيه ذلك التكاثر والجمع والتعديد حتى ينسى ربه ومآله كما بين ذلك جل ذكره:{ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ(1)حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2)**}[6]، ثم إن هذا الإنسان مجبول ومفطور على حبه بشهادة خالقه عليه؛ حيث قال تعالى: {**إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8)**}[7]، وقال أيضا: { **وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (20)**}[8]، وفي الحديث الشريف، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **[لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلاَ يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ]**[9].

---

[1] – [الفجر: 6-14]
[2] – [الفجر: 14]
[3] – [البلد: 4]
[4] – [الأنبياء: 35]
[5] – [الهمزة: 2]
[6] – [التكاثر: 1-2]
[7] – [العاديات: 6-8]
[8] – [الفجر: 20]
9 – متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، ح رقم6436، ج8/ص92. صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا، ح رقم 1048، ج2/ص725.

وأما الإنسان إن كان ممن قدر عليه رزقه، وضيق عليه عيشه فهو يكابد في سبيل تحصيل ما يقوت به نفسه وأهله. والمشقة في هذا واضحة وجلية لا تحتاج لمزيد بسط ولا تفصيل.

فالمناسبة بين جواب القسم في السورتين، هي أن جواب القسم في سورة الفجر تفسير وبيان لجواب القسم في سورة البلد.

د وجه تقرير الإلهيات في مستهل السورتين:

في توجيه القول بتقرير الألوهية في هذين الموضعين من السورتين، نقول أن الله هو الرازق والمعطي وهو المانع والمقدر. والتفاوت في الرزق هو تدبير من الله تعالى لوحده في شوون خلقه:{ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**}[1] وقال أيضا:{ **وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ**}[2] وقال أيضا:{ **اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (26)**}[3] وقال أيضا:{ **قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (36) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى** }[4] وقال أيضا:{ **فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (12)**}[5]. فالخلق خلقه والملك ملكه والتدبير تدبيره {**أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**}[6] وقال أيضا:{**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26)**}[7] وفي ذكر الكون وما فيه من أحداث ووقائع استدلال على ربوبيته وألوهيته تعالى.

كما أن تصريفه جل وعلا للأرزاق بالتفاضل بين عباده لم يكن عبثا، بل لعلمه الواسع وحكمته البليغة وإحاطته بمصالح عباده المختلفة، قال تعالى:{ **إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (30)**}[8] لأن بسط الرزق في علمه جل وعلا اللدني أحيانا يكون سببا للهلاك ومنعه موجب للنجاة، كما جاء في قصة قارون وقوم موسى، حيث قال تعالى {**قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ**

[1] - [الزخرف: 32]
[2] - [النحل: 71]
[3] - [الرعد: 26]
[4] - [سبأ: 36-37]
[5] - [الشورى: 11-12]
[6] - [الأعراف: 54]
[7] - [آل عمران: 26]
[8] - [الإسراء: 30]

(81) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82)}[1].

فالكون وما فيه ومن فيه خلق لتقرير وتحقيق غاية عظمى هي التوحيد وإفراد الله عز وجل بالخلق والملك والتدبير، وكذا إفراد الله تعالى بالعبادات والطاعات ومختلف القربات وحده لا شريك له. فالكون وما فيه من الجمادات والمخلوقات جاء لتقرير وحدانية خالقه، ومن فيه من المكلفين جاء لتحقيق التوحيد لله تعالى؛ حيث قال تعالى: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)}**[2] ومن معاني تفسير العبادة العبادة في هذه الآية الكريمة "التوحيد" حيث نقل القرطبي في تفسيره وجوها؛ منها: " وعن الكلبيّ أيضا: إلّا ليوحّدون، فأمّا المؤمن فيوحّده في الشّدّة والرّخاء، وأمّا الكافر فيوحّده في الشّدّة والبلاء دون النّعمة والرّخاء"[3].

كما أنه فيه لطيفة أخرى؛ وهي أن المقسمات في سورة الفجر منافعها في النهاية هي منافع مادية دنيوية جسدية، بينما المقسم به في سورة البلد منافعه منافع دينية نفسية.

3.3 الفرع الثالث: مناسبة في تقرير النبوات:

إن تقرير النبوات يعد من أهم المقاصد التي جاءت مواضيع القرآن المكي لتقريرها وتحقيقها، وذلك بذكر أحوال الأمم الماضية وأخبارها الخالية وعرض قصصها التي لا يمكن العلم بها والإلمام بتفاصيلها والإحاطة بأحداثها إلا بإمداد سماوي وتأييد رباني. والغرض من ذلك كله هو إما تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت فؤاده على الرسالة والدعوة لله، كما قال تعالى: **{وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (120)}**[4]، وحثه على الصبر وعدم اليأس والقنوط، قال تعالى: **{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (34)}**[5]، وإما لإقامة الحجة على المشركين ودحض دعوى المشككين بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم والسير بهم في طريق الاتعاظ والاعتبار بما حل بالأمم الكفرية من قبلهم من الوعيد وما فتح الله من نصره على من آمنوا بأنبياءه ورسله، قال تعالى:**{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)}**[6].

---

[1] - [القصص: 79-82]
[2] - [الذاريات: 56]
[3] - الجامع لأحكام القرآن: ج17/ص56.
[4] - [هود: 120]
[5] - [الأنعام: 34]
[6] - [يوسف: 111]

ولا شك أن هاتين السورتين الاثنتين قد حملتا هذا الموضوع في طياتهما، ولكنه في الأولى منهما أوضح؛ حيث ذكر في السورة الأولى أربعة من الأمم الماضية التي حل بها العذاب والدمار والهلاك، ودعا للتأمل في أحوالها ومآلها حيث قال {**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13)**}[1].

وأما في سورة البلد فإن الله تعالى لم يذكر أمما ماضية، ولكنه ذكر أمة حاضرة شاهدة؛ هي أمة النبي صلى الله عليه وسلم حيث ذكر البلد "مكة" مجازا للدلالة على أهلها كما في قول الله تعالى {**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا**}[2] أي أهل القرية. وإنه لا يخفى أنه جاء في بعض كتب التفسير أن قول الله عز وجل {**وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (2)**}[3]معناه استحلال دم النبي صلى الله عليه وسلم بها والتعرض له بالأذى دون سواه في حرمها، وفي معرض ذكر الرازي لوجوه التفسير، قال: " وثانيها: الحلّ بمعنى الحلال، أي أنّ الكفّار يحترمون هذا البلد ولا ينتهكون فيه المحرّمات، ثمّ إنّهم مع ذلك ومع إكرام اللّه تعالى إيّاك بالنّبوّة يستحلّون إيذاءك ولو تمكّنوا منك لقتلوك، فأنت حلّ لهم في اعتقادهم لا يرون لك من الحرمة ما يرونه لغيرك"[4].

وفي مناسبة تعدد ذكر الأمم الماضية في سورة الفجر وذكر مكة لوحدها في سورة البلد وكأن في ذلك إشارة إلى أن مكة لوحدها أشرف من بقاع الأرض برمتها مجتمعة. وأن من بعث فيها هو أشرف الورى وخير من سار الثرى مطلقا. ولا شك أن هذا المعنى تؤيده وتعضده نصوص شرعية كثيرة نذكر منها شيئا هنا منقولا من كتاب زاد المعاد لابن القيم، حيث قال في فضل مكة: " ومن هذا اختياره سبحانه وتعالى من الأماكن والبلاد خيرها وأشرفها، وهي البلد الحرام، فإنّه سبحانه وتعالى اختاره لنبيّه صلّى اللّه عليه وسلّم، وجعله مناسك لعباده، وأوجب عليهم الإتيان إليه من القرب والبعد من كلّ فجّ عميق، فلا يدخلونه إلّا متواضعين متخشّعين متذلّلين كاشفي رءوسهم متجرّدين عن لباس أهل الدّنيا، وجعله حرما آمنا لا يسفك فيه دم، ولا تعضد به شجرة، ولا ينفّر له صيد، ولا يختلى خلاه، ولا تلتقط لقطته للتّمليك بل للتّعريف ليس إلّا، وجعل قصده مكفّرا لما سلف من الذّنوب، ماحيا للأوزار، حاطّا للخطايا، ولم يرض لقاصده من الثّواب دون الجنّة، فلو لم يكن البلد الأمين خير بلاده، وأحبّها إليه، ومختاره من البلاد؛ لما جعل عرصاتها مناسك لعباده فرض عليهم قصدها، وجعل ذلك من آكد فروض الإسلام، وأقسم به في كتابه العزيز في موضعين منه فقال تعالى: {**وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ**}[5]، وقال تعالى: {**لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ**}[6]، وليس على وجه الأرض بقعة يجب على كلّ قادر السّعي إليها والطّواف بالبيت الّذي فيها غيرها، وليس

[1] - [الفجر: 6-13]
[2] - [يوسف: 82]
[3] - [البلد: 2]
[4] - مفاتيح الغيب: ج31/ص164.
[5] - [التين: 3]
[6] - [البلد: 1]

على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه، وتحطّ الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود، والرّكن اليمانيّ. وثبت عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم أنّ الصّلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ومن خواصّها أيضا أنّه يحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة دون سائر بقاع الأرض. ومن خواصّها أيضا أنّ المسجد الحرام أوّل مسجد وضع في الأرض، وممّا يدلّ على تفضيلها أنّ اللّه تعالى أخبر أنّها أمّ القرى، فالقرى كلّها تبع لها وفرع عليها، وهي أصل القرى، فيجب ألّا يكون لها في القرى عديل، ومن خصائصها أنّها لا يجوز دخولها لغير أصحاب الحوائج المتكرّرة إلّا بإحرام، ومن خواصّه أنّه يعاقب فيه على الهمّ بالسّيّئات وإن لم يفعلها وقد ظهر سرّ هذا التّفضيل والاختصاص في انجذاب الأفئدة وهوى القلوب وانعطافها ومحبّتها لهذا البلد الأمين، فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد "[1].

وأما في فضل النبي صلى الله عليه وسلم فكثيرة ومعلومة نكتفي بذكر حديث واحد فيه، وهو الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **[أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ]**[2].

وفيه لطيفة أخرى وهي أن ما تتعرض له أنت يا محمد في هذا البلاد من أذى واستحلال دمك فيه من قبل أهلها هو أعظم إثما من مجمل الأذية التي تلقاها الأنبياء من أقوامهم مجتمعة. وذاك هو الكبد. لأنك أفضل البشر وخير الخلق وسيد ولد آدم ولا فخر.

بعد ذكر الأمم الماضية وذكر مكة بين الله تعالى في السورتين الاثنتين عظم قدرته وإحاطته بالخلق وعلمه بهم فقال في الأولى {**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**}[3] وفي الثانية " أيحسب أن لن يقدر" و {**أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ**}[4]ليكافئ مشركي مكة ومناوئي دعوتك يا محمد بمثل ما كافئ الأمم الكفرية بعد صدهم وإعراضهم عن هدي الله وصدهم لدعوة أنبيائه ورسله.

3.4 الفرع الرابع: في المناسبة بين سبب حلول العذاب وتكذيب الرسل في السورتين:

لا شك أن من أسباب الكفر والجحود والغي والإعراض عن دين الله ودعوة أنبيائه هو الاغترار بالمال والتكاثر به وحبه ، فهو مفضي إلى طريق الفسوق والعصيان وتكذيب الأنبياء والاعتراض على شرائعهم، قال تعالى: { **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (16)**}[5]، وقال أيضا: { **وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ**

1 – ينظر محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751ه): زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة –بيروت–، ط27، (1415ه /1994م). ج1/ص47–52، (بتصرف).

2 – صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الخلائق، ح رقم 2278، ج4/ص 1782.

3 – [الفجر: 14]

4 – [البلد: 7]

5 – [الإسراء: 16]

كَافِرُونَ (34)}[1] وقال أيضا: { **وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (23)}**[2].

وفي هاتين السورتين، نجد أن الله ذكر في السورة الأولى جملة من وجوه الشح في التكسب الغير المشروعة وتحصيل المال ثم الإمساك أو البخل به، وعدم صرفه في وجوه وطرق الخير، حيث قال تعالى: **{كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (18) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (19) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (20)}**[3].

ثم ذكر في مقابلة هذا المعنى طرق انفاق المال المشروعة وسبله المندوبة، محذرا من صرفها في إيذاء عباد الله المؤمنين والمرسلين، حتى لا يصيبهم مثل ما أصاب قوم عاد وإرم وفرعون وثمود، مبينا أن الانفاق في مثل هذه الطرق يحتاج لمزيد صبر بالقلب ورحمة باليتيم الذي حرم حقه في سورة الفجر، وصلة القرابة التي قطعت بفعل الجشع والطمع في أكل التراث، والمساكين الذين يعيشون بين اللئام، لأن المال حبه لا يضاهيه حب شيء سواه.فقال: { **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17)}**[4].

ففي سورة الفجر تذكير لأهل المكة بالأسباب الموجبة للعذاب والهلاك وتكذيب الأنبياء، وفي سورة البلد بين لهم طريق الفلاح والنجاح والنجاة.

3.5 الفرع الخامس: مناسبة في تقرير المعاد ببين السورتين:

لما قرر الله عز وجل في مفتتح السورتين أمر الألوهية ثم أعقبه بتقرير أمر النبوة في طياتهما اختتم كلتا السورتين ببيان أمر المعاد، مبينا فيهما الاثنين مآل ومصير وأحوال المؤمنين والكافرين فقال في سورة الفجر: { **كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (22) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (23) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (25) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (26) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي (30)}**[5]، وقال في سورة البلد: { **أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (18) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (19) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (20)}**[6].

---

[1] - [سبأ:34]
[2] - [الزخرف:23]
[3] - [الفجر: 17-20]
[4] - [البلد: 11-17]
[5] - [الفجر: 21-30]
[6] - [البلد: 18-20]

3.6 الفرع السادس: مناسبة الاستطراد في سورة الفجر والاختصار في سورة البلد:

إن الملاحظ أن تقرير المعاد بين السورتين، هو أنه في سورة الفجر قد جاء في سياق مفصل؛ فبدأ بذكر أحوال نهاية العالم وخرابه، ثم البعث والحشر، وعرض لبعض أحداث وأهوال القيامة، ليبين في الأخير عقاب الكافرين و ثواب المؤمنين. وأما في سورة البلد وخلافا لسورة الفجر، فقد جاء تقرير المعاد فيها في سياق مختصر لا يتجاوز الثلاث آيات موجزة.

وعن مناسبة الاستطراد والتفصيل في أمر المعاد في الفجر والتلخيص والإيجاز في البلد، فإن الله تعالى بتفصيله في الفجر أراد أن يزيد من العذاب المعنوي لأولئك الذي أتوا بما لا يرضي الله وجمعوا المال وأكلوا أموال اليتامى، وجحدوا دعوى أنبيائه.

وأما الايجاز في البلد فهو من باب تيسير وتسهيل الخطاب والسياق على أولئك الذين اقتحموا العقبة وأنفقوا المال في سبل ترضي الله تعالى.

كما أن فيه لطيفة أخرى، وهي أن أحوال الأمم الماضية قد انقضت وتمت، ولذلك كان الحديث عن المعاد طويلا، وأما حال مشركي مكة فمازال لم يتبين، ولذلك أوجز الله السياق، واقتصر فيه على ذكر مصير الفريقين ريثما يتبين حالهم، لأنهم الآن في مقام المناصحة والنبي صلى الله عليه وسلم بصدد إقامة الحجة عليهم {**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (165)**}[1].

وفيه لطيفة أخرى أيضا، وهو أنه يا محمد، إن المقام ليس مقام بسط القصص وتفصيل الأحداث، بل هو مقام دعوة وإرشاد، ونصح واحتجاج وبيان، فالزمن هو زمن عمل لا قصص. والله جل علا أدرى بدقيق أسرار كتابه وأعلم.

4 خاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فله الحمد كله وإليه يرجع الأمر كله، وبعد فإن الباحث في أسرار المناسبة بين سورتي الفجر والبلد، يجد تقاطعا كبيرا بين موضوعاتهما ومقاصدهما من خلال جملة من الوجوه التي بينها في هذا المقال، وقد خلص البحث إلى أن وجوه المناسبة بين السورتين مدارها النقاط والموضوعات التالية:

- مناسبة مطلع سورة البلد لآخر سورة البلد.
- مناسبة تقرير الإلهيات في السورتين.
- مناسبة في تقرير النبوات.
- في المناسبة بين سبب حلول العذاب وتكذيب الرسل في السورتين.
- مناسبة في تقرير المعاد ببين السورتين.

[1] – [النساء: 165]

- مناسبة الاستطراد في سورة الفجر والاختصار في سورة البلد.

وهذا على غير ما ذكره الإمام السيوطي في كتابه " أسرار ترتيب القرآن"؛ والذي ذكر فيه وجها واحدا من أوجه المناسبة بين السورتين. والله جل وعلا أدرى وأعلم بمراده من كلامه ودقيق أسراره، فإن كان الذي ذكرت صوابا فمن الله وحده، وإن كان غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن مختلف سور القرآن الكريم تحتاج إلى مزيد عناية ودراسة في هذه الزاوية ومن هذا الجانب، خاصة في ظل الهجمات المتوالية التي يتعرض لها القرآن الكريم عموما وترتيبه خصوصا من قبل الحداثيين والمستشرقين.

وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على رسوله الكريم، وعلى آله وأزواجه وصحبه الغر الميامين، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر المراجع:

1 -إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت 885هـ): **مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"**، دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض-، ط1، (1408 هـ - 1987 م).

2 -إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت 885هـ): **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي -القاهرة-.

3 -أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت 468هـ): **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، -بيروت، لبنان-، ط1،(1415هـ-1994 م).

4 -أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر، برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت نحو 505هـ): **أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض. دار الفضيلة.

5 -أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي(ت 235هـ): **الكتاب المصنف في الأحاديث و الآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض-، ط1، (1409هـ).

6 -أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت 708هـ): **البرهان فى تناسب سور القرآن**، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية –المغرب-، (1410 هـ - 1990 م).

7 -أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت 794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، (1376 هـ - 1957 م).

8 -أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت671هـ): **الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي-**: تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة-، ط2، (1384هـ - 1964م).

9 -أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ): **مفاتيح الغيب -التفسير الكبير-**، دار إحياء التراث العربي – بيروت-، ط3، (1420 هـ).

10 -أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ): **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت-، ط1، (1422 هـ).

11 -أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت 427هـ): **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، -بيروت ، لبنان-، ط1، (1422هـ - 2002م).

12 -تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ): **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية-المملكة العربية السعودية-، (1416هـ/1995م).

13 -جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ): **تفسير الجلالين**، دار الحديث – القاهرة-، ط1.

14 -جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597هـ): **الموضوعات**، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط1، (1386 هـ - 1966م).

15 -شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت 1270هـ): **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق علي عبد الباري عطية،دار الكتب العلمية –بيروت-، ط1، (1415 هـ).

16 -عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ): **الدر المنثور**، دار الفكر-بيروت-.

17 -محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ): **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، الدار التونسية للنشر – تونس-،(1984هـ).

18 -محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751هـ): **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة – بيروت-، ط27، (1415هـ /1994م).

19 -محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه – صحيح البخاري-**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، (1422هـ).

20 -محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ): **فتح القدير**، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت-، ط1، (1414هـ).

21 -مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ): **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.-